2022 / 8 / 22-21
اربيل- العراق
مركز مشورة للدراسات والتنمية
المجلة العراقية للبحوث الانسانية والاجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
عدد خاص لأبحاث المؤتمر الدولي الاول للعلوم الاجتماعية والانسانية

# الأنساق الثقافية في الرسائل السلطانية في الأندلس دراسة ثقافية في نماذج مختارة من عصري الطوائف والمرابطين

أ.م.د. زهراء نعمة السعدي
دعاء علي هادي
جامعة الكوفة ـ كلية التربية للبنات

**ملخص البحث:**
تناولت في هذا البحث الأنساق الثقافية في الرسائل السلطانية في الأندلس دراسة ثقافية في نماذج مختارة من عصري الطوائف والمرابطين؛ وتوصلت إلى أنّ الرسائل السلطانية هي ذات أهمية وكسبت أهميتها بوصفها لسان حال الدولة وعليها يعتمد ترتيبها وتسيير أمورها، وتحديد علاقاتها مع الدول الأُخر وتعتمد عليها هيبة الدولة وتستند إليها أركانها أيضاً؛ إذ هي قوام الملك والسلطان وضبط قواعده إذ يُطلق عليها السلطانية وانها رسائل تصدر من دار الحكم وتوجه إلى العاملين في الدولة؛ إذ تعددت تسميات هذه الرسائل وإنّ بعضاً من الباحثين يُطلق عليها اسم الرسائل السياسية، لأنها تهتم بالشؤون، والأمور السياسية وقد اطلق عليها كذلك الرسائل السلطانية لما يصدر فيها من أوامر واحكام الملك والسلطان ورسائله، التي يُرسلها إلى حلفائه وأعدائه كذلك؛ ونتيجة لتعدد المضامين التي جاءت بها الرسائل السلطانية من أوامر ونواهي وعزل وتولية تم تقسيم المبحث عدة نقاط توضحت فيها الأنساق الثقافية بصورة جلية وواضحة معبرة عن حال الدولة في تلك الحقبة.
**كلمات مفتاحية** : الأنساق الثقافية ، الرسائل السلطانية ، الأندلس ، الطوائف ، المرابطين

# Cultural patterns in the Sultan's letters in Andalusia, a cultural study in selected models from the modern sects and the Almoravids

Prof. Dr. Zahra Neamat Al Saadi
Doaa Ali Hadi
University of Kufa - College of Education for Girls

**Abstract**

In this research, I dealt with the cultural patterns in the Sultanate messages in Andalusia, a cultural study in selected models of the modern sects and the Almoravids; And it came to the conclusion that the sultan’s messages are of importance and gained their importance as the mouthpiece of the state, and on it depends its arrangement and conduct of its affairs, determining its relations with other states, and the prestige of the state depends on it and its pillars also depend on it. It is the foundation of the king and the sultan and the control of its rules, as it is called the Sultanate, and it is messages issued by the House of Government and directed to the workers of the state. The names of these messages were many, and some researchers called them the political messages, because they are concerned with affairs and political matters. They were also called the Royal Messages because of the orders and rulings of the king and the Sultan and his messages, which he sends to his allies and enemies as well. As a result of the multiplicity of the contents of the Sultan's messages of commands and prohibitions, isolation and entrustment, the topic was divided into several points in which the cultural patterns were clarified in a clear and clear way, expressing the state of the state in that era.
**Keywords**: cultural patterns, sultan messages, Andalusia, sects, Almoravids

**مقدمة:**

إنّ الرسائل الديوانية التي تم دراستها تحت عنوان النسق الديواني؛ هي ذات أهمية وكسبت أهميتها بوصفها لسان حال الدولة وعليها يعتمد ترتيبها وتسيير أمورها، وتحديد علاقاتها مع الدول الأُخر وتعتمد عليها هيبة الدولة وتستند إليها أركانها أيضاً؛ إذ هي قوام الملك والسلطان وضبط قواعده[1] إذ يُطلق عليها السلطانية وانها رسائل تصدر من دار الحكم وتوجه إلى العاملين في الدولة. و تعددت تسميات هذه الرسائل إذ إنّ بعضاً من الباحثين يُطلق عليها اسم الرسائل السياسية، لأنها تهتم بالشؤون، والأمور السياسية وقد اطلق عليها كذلك الرسائل السلطانية لما يصدر فيها من أوامر واحكام الملك والسلطان ورسائله، التي يُرسلها إلى حلفائه وأعدائه كذلك[2].

ونتيجة لتعدد المضامين التي جاءت بها الرسائل الديوانية من أوامر ونواهي وعزل وتولية تم تقسيم المبحث على الآتي:

**أولاً:نسق التولية والعزل:**

التولية: ويقصد بها رسائل توجه إلى شخص معين في تحديد الوظيفة ، وما يتعلق بتنظيم أمور الدولة ورسم سياسة شؤون الحكم عن طريق الوظائف الإدارية والقضائية التي عرفتها الدولة في حقبة الطوائف والمرابطين[3]؛ من ذلك ما كتبه بُلُكين بن باديس إلى القاضي أبي عبدالله بن الحسن الجذامي يوليه الوزارة والقضاء قائلاً:" **إقراره على خُطة الوزارة ، والقضاء في جميع كوره، وأن يجري من الترفيع والإكرام له، إلى أقصى غاية ، وأن يحمل على الجراية في جميع أملاكه بالكور المذكورة .. وأن يجري في قرابته وخوله[4]وحاشيته وعامري ضيعه على المحافظة والبر والحرية"[5].**

اشارت الأنا في هذا المقطع من النص إلى نسق التولية؛ ثم تستعمل الأنا نسق النصح والارشاد الوعظي الذي لابد للآخر ان يتحلى به كونه في منصب حساس في الدولة وعليه أن يحافظ عليه ولا يتمادى في حكمه.

ومن الرسائل الأُخر التي حملت مضمون التولية ما كتبه ابن طاهر في تولية حاكم على إحدى جهاته قائلاً:" **قلدتُ فلاناً سلّمه الله النَّظر في أحكام فلانه، وتخيرتهُ لها بعد ما خبرته واستخلفته، وقد عرفته واثقاً بدينه، راجياً لتحصينه، لأنه إن احتاط سلم، وإن أضاع أثم فليقم الحق على أركانه وليضع العدل في ميزانه وليساو بين خصومه وليأخذ من الظالم لمظلومه ولقف في الحكم عند اشتباهه ولينفذه عند اتجاهه ولا يقبل غير الممضي من شهادته ولا يعرف الاستقامة إلا ما عادته وليعلم ان الله مطلع على خفياته وسائله بوم ملاقاته"[6].**

يستعمل الكاتب نسق التولية واثبات التعيين لهذا الشخص في تسلمه زمام هذه المنطقة؛ ثم يظهر في النص نسق المدح والثناء على هذا الشخص فإن الكاتب قد اختاره لهذا المنصب لثقته به وبعلمه ودين؛ وهذا يؤكد حسن اختاريه له كون عارفاً حدود الله ويقيم العدل في منطقته؛ ويؤكد الكاتب على استعماله نسق النصح والارشاد في عدم اضاعة حقوق الرعية لأنها ستؤدي إلى تأثيمه؛ ويظهر استعمال الكاتب لنسق الديني في اظهار جانب التقوى في الحاكم؛ لأن هذا الحاكم الذي سيتولى شؤون الناس لابد أن يتصف بهذه الصفات من العدل والمساواة بين الناس ومخافة الله في خلقه .

ومن رسائل التولية ما كتبه ابن ابي الخصال عن لسان الأمير علي بن يوسف بن تاشفين إلى ابنه تاشفين حينما اضيف إليه ولاية قرطبة[7] قائلاً:" **وقد رأينا والله نسأله الخير فيما نرتبه والتوفيق في كل ما نصنعه ـ أن نجمع لك قرطبة وأعمالها إلى ذلك العمل الذي أنت فيه، فإذا وقفت على كتابنا هذا، فأنهض بنفسك على بركة الله إلى هناك، واجعل قرطبة دار سكناك وقرارة مثواك، وعلى مقدار ما زدناك من العمل فازدد من التيقظ لاتساع ذرعك وامتداد مساعك ، واستعن بالله في إعلانك وإسرارك ... واستظهر**

**بحسن المشورة في مواطن الاشتباه، فإن الله سبحانه يقول لرسوله ﷺ:(وشاورهم في الامر[8]، ...والله المستعان ولارب سواه"[9].**

بدأ النص باستعمال الأنا لتوضيح الأمر من الرسالة وهو تولية الآخر/ الابن على مدينة قرطبة، فعملت الأنا على اثبات مركزية الآخر/ الابن فتؤكد الأنا على شرعيتها للسلطة عن طريق تفردها بالحكم؛ وتعمل الأنا على استعمال نسق الوعظ والارشاد الاصلاحي للآخر/ الابن لتسلمه منصب الولاية؛ وحاولت الأنا أن تجعل الآخر/ الابن في حالة انسجام مع الآخر/ من أصحاب السلطة وممن هم أدرى منه في أمور الدولة فوجهت الأبن بأخذ المشورة واعطاء الآخر/ اصحاب السلطة الحق في ابداء رأيهم ومشورتهم في الأمور التي تُسهم في تعزيز موقعه (الآخر/ الأبن) وتؤكد الأنا على تعزيز كلامها بالاقتباس القرآني الحرفي عن طريق توظيف قوله تعالى وشاورهم في الأمر ثم ختمت الأنا النص بنسق الاقرار بوحدانية الله سبحانه والايمان المطلق به.

ومن رسائل التولية التي وردت ما املاه المتوكل قائلاً:**" لم يسوغ اولياء النعم مثل الذي سوغتموه من التزام الطاعة والدخول في نهج الجماعة ولذلك لا الوكم ونفسي فيكم نصحا فيمن اتخيره للنيابة عني في تدبيركم والقيام بالدقيق والجليل من اموركم ، وقد وليت عليكم من لم أوثر والله فيه دواعي التقريب على بواعث التجريب ولا فرائض التخصيص على لوازم التشخيص وهو الوزير القائد ابو عبدالله بن خيرة ابني دربة وبعضي صحبة ونشأتي شبكه وقربه وقد رسمت له من وجوه الذب والحماية ومعالم الرفق والرعاية ما التزم الاستيفاء بعهده والوقوف بحده عند حده والمشمول في عون من لا عون الا من عنده ، ولن اعرفكم حميد خصاله وسديد فصاله..."[10].**

تبدأ الأنا بالثناء على الآخر/ الجماعة (هم) وتُشير إلى التزامهم بالطاعة والولاء وعدم خروجه عن النهج الذي فرضته الأنا عليهم وخضوعهم للسلطان؛ فأشارت الأنا إلى نسق التسلط على الآخر/ الجماعة (هم) وعلمت الأنا/ المتوكل على اثبات مركزيتها السلطوية على حساب الآخر/ المكلف بالولاية والآخر/ الجماعة هم واقصاء أثرهم؛ ثم أشارت إلى نسق التولية عن طريق ذكرها للآخر المكلف بالولاية/ ابن خيرة وصحبه من القواد؛ ثم بيت الأنا/ مكانتها واشارت إلى الفخر بالذات وما تمتلكه من القوة والعظمة في فرض سيطرتها على الجماعة؛ ثم تستطرد بذكر نسق الثناء على الآخر/ ابن خيرة وبيان بعضاً من خصاله الحميدة فجاءت الألفاظ متناسبة للمقام المذكور.

وكما أن التولية تُعد مكافأة ؛ فإن العزل هو عقوبة وقد استعمل الأمراء والقواد أسلوب العزل وتنحية بعض الشخصيات من المناصب التي يتقلدونها عندما يرون تقصيراً منهم من ذلك ما جاء في رسالة للمتوكل بن الافطس يخاطب وزيره ابو الوليد بن الحضرمي[11]؛ وقد صرفه عن خدمته قائلاً: " **... ولما رأيت الأمر قد ضاع والادبار قد انتشر وذاع ، اشفقت من التلف وعدلت الى ما يعتبنا ان شاء الله بالخلف واقبلت استدفع مواقع انسي واشاهد ما ضيعته بنفسي فما ارى الا لججا قد تورطتها وغمرات قد غرقتها فشمرت عن الساق للجتها وخدمت النفس بمهجتها حتى خضت البحر الذي ادخلني رأيك ووطئت الساحل الذي كان يحول بيني وبينك فعلك ، فنفسك لم وبسوء صنيعها المم واعتصم وان مننت بجميل اعتقادك ومحض ودادك فأنا مقر بذكره معترف بقله وكثره ، لكنك كنت كالمثل السائر اشوى اخوك حتى اذا انضج رمد حتى اطمعت في العدو ولبست لأهل حضرتي الاستكبار ..."[12]**

جاء النص حاملاً في معناه الظاهر النسق المعلن وهو نسق عزل الوالي عن منصبه المنوط به؛ وفضلاً عن ذلك استعمل الأمير نسق اللوم والتقريع بهذا الشخص لإساءته التصرف في منصبه؛ ويستعمل ايضاً نسق المناقشة والمحاججة ليعرف السبب الدافع لهذه الاساءة فجاء النص بعبارات موحية مناسبة للمقام الواردة فيه.

**ثانياً: نسق الأمان والبيعة:**

إنّ النثر الديواني كان زاخراً بالموضوعات والمعاني؛ فكانت عهود الأمان والبيعة مما يندرج في النثر الديواني؛ وإن سبب استعمال هذه المعاني هو طبيعة العمل السياسي وما كان بين الأمراء من خلافات؛ وقد أورد ابن بسام مجموعة من النصوص التي تندرج تحت هذا العنوان ومنها ما كتبه ابن برد الاصغر[13]؛ وقد أشار د. حازم خضر إلى أن النصوص الوحيدة التي تم العثور عليها تحت هذا العنوان هي ما اورد ابن بسام في كتابه الذخير لأبن برد الأصغر تحت عنوان (فصول تنخرط في سلك الأمان)[14]؛ ولكن عند العودة إلى هذه النصوص فإنه يمكن ملاحظة أنّ بعضاً منها في مضمونها لا يتفق مع العنوان الواردة فيه ؛ إذ إن الفصول الأولى تضمنت الدعوة إلى وحدة الصف؛ ولم الشمل، وبعضها الآخر كان واضح الدلالة يُشير إلى معاني الأمان والبيعة ؛ ومنها قوله:" **بايع الإمام عبدالله فلان بانشراح صدر وطيب نفس ونصاحة جيب وسلامة غيب بيعة رضا واختيار لا بيعة اكراه واجبار على السمع والطاعة والمؤازرة والنصرة والوفاء والنصيحة في السر والعلانية والجهر والنية والعمل على موالاة من والاه ، ومعاداة من عاداه من بعيد وقريب ، وغريب ونسيب، ويقسم على الوفاء به والقيام بشروط بيعته بالله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ، عالم الغيب والشهادة ، والقائم على كلّ نفسٍ بما كَسَبتْ، ويُعطيه على ذلك كُلِّهِ ذِمةَ الله وذِمَةَ محمدٍ رسولهِ، وذِمَةَ الأنبياء والمرسلين، والملائكة والمقربين ، وعباد الله الصالحين**"[15].

النص جاء واضحاً حاملاً نسقه المعلن وهو البيعة والأمان ؛ ثم يظهر في هذا المقطع الصّفات والشروط التي يجب الالتزام بها من قبل الآخر/ المبايع فالألفاظ التي استعملتها الأنا حقيقية وتمثل الجانب الإيجابي للأنا تجاه الآخر/ المبايع ؛ وجاء نسق الترغيب في النص عن طريق استعمال الأنا للألفاظ، والعبارات الموحية بما تحمله من أفكار، ومعانٍ . واستطاعت الأنا صياغتها بأسلوب متقن جعلت من الآخر/ المبايع يذعن ويستقبل هذه الشروط برحابة وعدم الخروج على السلطة فتمت البيعة بالاتفاق من دون إكراه الآخر واجباره على قبولها وهذا الأمر يدّل على قدرة الكاتب وموهبته في استعماله للألفاظ المناسبة في المقام المناسب لها ثم إنّ الكاتب يستعمل التهريب النسقي عن طريق استعماله الألفاظ ، والعبارات الدينية الواردة في الآيات المباركة (الله لا اله إلا هو...)[16]، فجاء النسق الديني معضداً ما أرادت الأنا ايصاله من معنى للآخر من جانب ايجابي ، إلا إنّها قد اظهرت الجانب السلبي لها الذي يراه يقرب من المستحيل إن لم يكن هو المستحيل بعينه[17]؛ فيقول:" **ومتى خلعتَ رِبْقةً بختٍر[18]، أو عذرٍ، أو طَوَيْتَ كَشْحاً على نكثٍ أو حنث، فعليك المشيُ إلى بيت الله الحرام ببطحاءِ مكّةَ مِن مُسْتَقرّك ثلاثين حجة، نذراً واجباً لا يقبل الله تعالى إلاّ الوفاء به؛ وكلّ زوجةٍ لك مهيرة...**"[19].

الموقف هنا تطلب من الأنا استعمال نسق التهديد والوعيد تجاه الآخر إذا ما نكث بالعهد، وفي الوقت نفسه يمكن ملاحظة استعمال الأنا لنسق الاكراه والاجبار باستعمال القوة بوضوح في الرسالة، فرسمت الأنا صورة أخرى من التسلط وفرض الهيمنة السياسية وتهميش الآخر واقصائه عن طريق تخييره بين أمرين إما القبول والخضوع والدخول في البيعة أو الرّفض ، والنقض لهذه البيعة التي في حال تم رفضها سيتحمل الآخر تبعات هذا الرفض من الويلات والمشقة ، فاستطاعت الأنا عن طريق هذا الخطاب اثبات مركزيتها وتهميش الآخر سواء قبل البيعة أم لا ؛ وظهر في النص نسق النصح والارشاد لهذا المبايع والالتزام بحدود الله ورسوله ؛ وهذا كان واضحاً عن طريق استعمال الكاتب للعبارات الدالة الموحية وان لم يُصرح بصورة مباشرة على هذا الامر إلا إنه بدا واضحاً .

وهذا نص آخر لابن برد بعنوان ( أمان غريب الصنعة) يقول فيه:" **أما بعد: فإنكم سألتم الأمان أو أنّ تَلَمظت السيوفُ إليكم، وحامتِ المنايا عليكم، وهَمتْ حظائر الخذلان أن تُفرج لنا عنكم، وأيدي العصيان أن تُتحفنا بكم. ولو كِلنا لكم بصاعكمْ، ولم نَرْعَ فيكم ذمةَ اصطناعكم ، لضاق عنكم مَلْبَسَ الغُفْران، ولم يَنسدلْ عليكم سترُ الأمان. ولكنّا علمنا أنَّ كهولكم الخلوفَ عنكم، وذوي أسنانكم المُعاصين لكم، ممن**

**يَهابُ وَسْمَ الخلعانِ، ويخافُ سطو السلطانِ، وأنهمْ لا يراسلونكم في ميدان معصية، ولا يزاحمونكم مَنْهلَ حيرة..."[20].**

يُلحظ في هذا الجزء من الرسالة أن النسق المعلن فيه هو نسق الأمان ؛ إذ إنّ الأنا/الكاتب هنا بعد هذه المقدمة الافتتاحية يعرض في هذه الوثيقة جانباً من معالجة الأمور؛ وتستكمل الأنا في الجزء الثاني الذي يتضمن اعطاء الأمان للآخر المتمثل بـ هم الجماعة الخارجة على السلطة والسلطان إذ يقول:" **لو تحرجنا أن نقطع أعضادهم بكم، ورجاؤُنا أن يكون العفوُ على المقدرة تأديباً .."[21].**

يتضح في النص النسق الموجه إلى الآخر هو نسق التسلط وفرض القوة على الجماعة المتمردة؛ فيظهر في النص مركزية السلطة المتمثلة بالأنا في قول الكاتب المتحدث بلسان السلطة وهامشية الآخر وهو الجماعة الخارجة عن طاعة السلطان، فالملاحظ من استعمال نسق العنف أن السلطة المتمركزة تسعة إلى تحقيق الثبات والدّيمومة عن طريق حركتين أساسيتين هما: تحقيق حالة انسجام تكون بين المجتمع ، والرّعية التي تنتمي إلى المركز/ النظام أولاً، وبعد ذلك التخلص من الهامش الذي يتمثل بالآخر/ (هم الجماعة الخارجة) التي تسعى لخرق النظام[22].

فالواضح من النص أن الأنا/ الكاتب المتحدث بلسان السلطة قد بنى نصه على قوة السّلطة الحاكمة وعدّها سلطة تمثيلية ممثلة بمولاه الحاكم صاحب السلطة ، والرعية الذين يمثلون عامة الشعب، فالواجب من هذه الرّعية تقديم الطاعة والولاء والتأييد لهذه السلطة وهذا يمثل نسق الخضوع للسلطة، وإنّ من ينقض هذه المعاني ، ويخرج عن طاعة السلطان فهو يُعدّ في نظر السلطة متمرداً وهذا ما أثبته النص من وجود نسق التمرد والخروج على السلطة وبالتالي استوجب هذا الأمر استعمال السلطة لنسق القمع وانزال العقوبة ، وأخذ القصاص به.

إنّ هذا الجزء من الرسالة لا يختلف عن سابقه إلا إنه جاء موجهاً إلى قومٍ قد طلبوا الأمان بعد أن اصابهم العجز في تحقيق مساعيهم تجاه الأنا/ السلطة ، فكان أسلوب الأنا/ الكاتب أنه استعرضها بأسلوب يُعالج هذه الحالات من تمرد الآخر/ هم الجماعة وما كان من الأنا/ السلطة إلا أن عفت عن هذه الجماعة فجاء نسق العفو والتسامح مع هؤلاء المتردين على السلطان حقناً للدماء مجسداً بقوله: ( العفو عند المقدرة ) متخذة موقفاً تأديباً للآخر/ هم الجماعة المتمردة؛ فحاولت الأنا اقصاء الآخر وتهميشه بالعفو واهمال أمره.

**ثالثاً: نسق التبشير بالفتوحات والانتصارات:**

تُشير المصادر إلى أنّ حقبة الطوائف لم تكن فيها لدى امرائها الكثير من الانتصارات التي قد تُدخل الأفراح والمسرات في نفوس المسلمين من ابنائها؛ إلا انّ النصوص الكثيرة التي تتضمن التعبير عن التبشير بالفتوحات والانتصارات على المسيحين تعود إلى حقبة ما بعد دخول المرابطين بلاد الأندلس؛ استجابة لنداءات سكانها[23]؛ ومن أهم رسائل التبشير بالنصر ما كتبه ابو بكر بن القصيرة على لسان المعتمد بن عباد قائلاً:" **كتبتُ صبيحةَ يومْ السبت ، الثالث عشر من رجب، وقد أعز الله الدين وأظهر المسلمين، وفتح لهم بفضله على يد مسعانا الفتح المبين، بما يسر الله في أمسه وسناه، وقدر سبحانه وقضاه من هزيمة إذفونش بن فرذلند[24] اصلاه الله ـ إنْ كان طاح ـ الجحيم ، ولا أعدمه ـ إن كان أُمهل ـ العيش الذميم، كما قنَّعه الخزي العظيم، وإتيان القتل على أكابر رجاله وحماته ... وحضور العدد الوافر بين يدي من رؤوسهم ولم يُحتزَّ منها إلا ما قرب... واتخذ الناس هاماتهم صوامع يؤذنون عليها. ويشكرون الله تعالى على ما صنع حق حمده..."[25].**

إنّ النص حمل في بدايته نسق التبشير بالنصر وهزيمة اذفونس ؛ ويظهر فيه ايضاً نسق الفخر فالمعتمد يفخر بنفسه بأن النصر قد جاء على يديه ؛ ويحاول ان يستعمل نسق التقرب والتودد إلى المسلمين ليحصل

على دعمهم وتأييدهم له ؛ ثم يصف احداث هذا الانتصار وكيف تم؛ ويظهر نسق الثناء والمدح على الجنود المسلمين فبوحدتهم وتكافتهم تم النصر.

ومن الرسائل الأُخر التي حملت المضمون نفسه وهو التبشير بالنصر ما كتبه ابو العلاء صاعد بن الحسن؛ إلى مجاهد يصف فيها ظهوره على حيران واسره لمجموعة من الصقلب يقول فيها:" **كتابي وانا مُستطارٌ فرَحاً ومستوفِزٌ مَرَحاً بالغادي والرَّائح عليَّ منَ البَشائر التي تُسْمِع الصمّ. وتُنْطِقُ البُكْم، بعدوِّ نَجَا بعد ما ظن أنْ ليس ناجياً، وحُنزواني أقبل في صِفادِهِ عانياً، صُنعاً من اللهِ اسأله ضارعاً أنْ يجعله عِندك راسياً، وعليك مُخيّماً، فإنَّ الذي آوي إليه في تَطَولِك يُبدي ولوعاً ويغري بالنّزاع إليك والنزوع نحوك**"[26].

يظهر في النص نسق التبشير بالانتصار واضحاً ثم يستعمل الكاتب نسق التودد والتقرب إلى المرسل إليه الرسالة .

وهذا نصٌ آخر لأبي عبد الرحمن محمد بن طاهر في تهنئة قدمها لإقبال الدولة بالنصر الذي حققه برجوع أحد معاقله ، وظفره بالمنُتزي عليه قال فيها:" **جراحاتُ الأيامِ ـ أيدك الله ـ هدَرٌ ، وَجنَايَاتُها قَدَرٌ، وَلَيس لِلمرءِ حِيلةٌ، وإنّما هيَ ألطَافٌ للهِ جَميلة...**"[27].

إنّ هذا النص النثري واضح المعالم ؛ فهو موجه للآخر المخاطب، وقد استعرضت فيه الأنا عن طريق استعمال الألفاظ ، والعبارات الواضحة البعيدة عن التعقيد نسق التزلف والتقرب للآخر بالدعاء الذي جاءت به الأنا ممزوجاً بالثناء على الآخر، ثم بعد ذلك تستدرك الأنا بنسق التهنئة برجوع المعاقل واحراز الانتصار والحصول على الغنائم وهي بهذا تؤكد مركزية الآخر/ إقبال الدولة وتهميش أثر الآخر/ الجند إذ أنها تؤكد للآخر/ إقبال الدولة بأنه لولا قيادته الحكيمة وشجاعة وادارته لهذه الحرب لما حصل الانتصار ؛ فجاءت بالأنساق المناسبة في النص مع الغرض الذي حثها لكاتبته.

**رابعاً: نسق التهنئة:**

حمل النثر الديواني في حقبة الطوائف والمرابطين موضوعات متعددة بحسب المناسبات التي تعبر والدوافع التي تؤدي إلى انشاءها ؛ فكان من بين هذه الموضوعات التهاني التي كانت توجه إلى الامراء من أمراء آخرين أو قد تكون من الكتاب والمثقفين وغيرهم ؛ وتكون بمناسبة استرجاع حصن أو مدينة أو بمناسبة هزيمة جيوش النصارى في معركة ما ضدهم واحراز النصر من فبل المسلمين عليهم[28]؛ من ذلك رسالة كتبها ابو العلاء عبد الحق بن خلف بن مفرج بن الجنان؛ إلى يحيى بن غانية الملثم[29] يُهنئه بهزيمة النصارى قائلاً:" **اطال الله بقاء الرئيس الاجل واضح آيات المساعي مجابا في تأيده دعوة الداعي ولا زال معقودة بالظفر الويته معمورة بصالح الدعاء ساحاته واندينه ، كتابي وما خططت بحرف الا رمقت السماء بطرف ادعو واتوسل الدعاء ويقبل ويسني الحظوظ فيجزل على ما أولى من قسم اتاحها الله على يديه ما القى ازمتها اليه حتى انقادت له بعد شماس وتأتت على باس وهل كانت الا خبيئة الدهر وبيضة الصقر...**"[30]

النسق المعلن هو التهنئة بالنصر؛ ولكن هذا النسق كاد أن يفقد ظهوره إلى جانب وجود نسق المدح والثناء ؛ إذ إن استعمال الكاتب لعبارات المبالغة والاسراف في استعمال الالقاب والصفات كان واضحاً؛ وهذا أدى إلى ظهور نسق التكسب والاستجداء من الأمير لغرض الحصول على الاموال والعطايا والتقرب منه.

ومن الرسائل الأخرى الواردة في هذا الصدد (التهنئة) ما كتبه ابو محمد بن عبد الرحمن الموفق ابي الجيش؛ مهنئاً المعتضد باسترجاعه مدينة شلب قائلاً:" **كتابي – اعزك الله تعالى – عن حال قد طال جناحها وآمال قد أسفر صباحها ويد قد اشتد زندها ونفس قد انتجز بنجح مأمول وعدها بما وردني به**

**كتاباك الكريمان اعزز بهما من جميل صنع الله لك بحصول قاعدة شلب وذواتها في قبضتك واستزراء ذاك الافق بظل طاعتك وخروج صاحبها عنها من غير عقد عاصم ولا عهد لازم وقد كذبه ظنه في التماسك واخلفه الله في التهالك ورغم به أنف من بعد عنه وجدع..."**[31].

إنّ نسق التهنئة بدا واضحاً في النص ؛ ولكن يظهر في النص استعمال الأنا/الكاتب لنسق المبالغة في المدح لدرجة تجاوز الاعتدال في وصفه ؛ ويستمر في استعمال نسق الفخر واضفاء الصفات والخصال الحميدة على الآخر.

وهناك نصٌ آخر في هذا الغرض كتبه ابو مروان بن حيان قائلاً:" **يا مولاي وسيّدي، قحطانيّ زمانه، وغلاَّب أقرانه ، المتوقّي في مُلكه منَ ضَرَّ اعتمادهُ عليه، ومن هنأه الله جليل الفتح له وعلى رعيّته به، ولا الهاهُ طمَحانُ السُرور بجلالته عن تحقيق التواضع لمولاه، وإخلاص الخشوع لوجهه، والعياذ بعصمته، من إقراف ما جرّ مثله على معترفه، وسؤاله تسويغه إيّاه، بالنّخل لـه، والفوز بجميل عافيته، بمنّه** "[32].

استعمل الكاتب نسق التهنئة في النص؛ ثم يُلاحظ استعماله لنسق النصح والارشاد لهذا المخاطب بعدم الاغترار والمبالغة في نتائج النصر لئلا ينشغل به عن أمور أولى به أن ينصرف إليها[33]؛ ثم إن الكاتب يستعمل نسق التحذير من المبالغة في الفخر بالذات وإن الدافع من وراء الأسلوب واستعمال الكاتب لهذه الأنساق هو أن معظم الكُتّاب كانت وظيفتهم في الدولة لا تقتصر على الكتابة بل كان البعض منهم فقيهاً وعالماً لديه من الخبرة والدراية ما يستطيع أن ينفع به أصحاب السلطة في زمانه.

ومن الرسائل الأخرى التي جاءت في التهنئة بالفتوحات هي رسالة ابو عبد الرحمن بن طاهر إلى الوزير ابي عبدالملك بن عبد العزيز مهنئاً إياه باستعادة بلنسية[34] من النصارى يقول فيها: " **الحمد الله مالك الملك ، مطهرها من الشرك ...**"[35].

يظهر في النص نسق التهنئة والفرح بالانتصارات التي حققها المسلمين ؛ ويستعمل الكاتب النسق الديني عن طريق تضمينه المعاني والمفردات القرآنية ؛ المستمدة من قوله تعالى "قل اللهم مالك الملك .."[36].

وهناك رسالة لابن ابي الخصال هنئَ فيها عاملاً بولايته ، ولكنه لم يذكر اسمه قائلاً فيها:" **يا عمادي الأعظم ومصادي**[37] **الأعصم، ورِدْأ استظهاري الأكرم، وإمام الأهدى في الخَطب إن أعتم؛ ومن أطال الله بقاءَهُ لعزّ يستأنفه مشيد، وعمر يستقبلُه جديد، ومهل سائغ الظلّ مَديد. كتبتُ ــ أدام الله عِزّك ـ والقتادُ ثمار والثمارُ غِمار**[38]**. وعُودُ الزّمانِ ــ بعودتكَ الحميدة ـ نُضار. أجل لقد شبَّ بعد الهرم، وأعربَ عَنْ عهدٍ صريح الكرم. وإنّ دهراً لَبْسَ رَوْنَق بهائك، ومُلكاً شُدَّ باكتفائك، وأُوثر ببقيّة عمرك الزّاكية وغَنائك، لجديرٌ أن تضحكَ رياضهُ، وتفهَق حِياضُه، وتجمّ أموالُه على العَلل**[39] **، وتبرأ أحوالهُ من الإعراضِ والعلل؛ وتَطّرِدَ بالسَّدادِ ومصالح العِباد وقوانينهُ، وتتَّقد بمصَابيح الإتقانِ والإحسان دواوينه، وتنتظمَ الفوائدُ في سلكها فرائدَ فتسر الناظر وتُبهج الزّائر، بحقائق في حدائق، خطراتَ بالجداول، وقصرت عنها يدُ المُتطاول فكأنها سماء مُلئت حرساً شديداً، وشهباً لا تلبثُ لاستراق السّمع مَريداً... فهنيئاً لراعي الأُمّة، وكاشف الغُمّة، بيمن سياستك، وأمنِ حياطتك وحراستك، وهنيئاً للأولياء عامّة** "[40].

يتضح في هذا النص مدى اهتمام (الأنا/ الكاتب ابن ابي الخصال) البالغ، وقدرتها على التصرّف في القول في صياغة الألفاظ ونظمها الإبداعية التي تمتلكها هذه الأنا فدبجت أجمل العبارات مستعرضة فيها الألفاظ والقيم، والشمائل العربية رابطة إياها بالقيم الدينية، ومن هذا كله يظهر استعمالها لنسق الثناء والمبالغة في الإطراء على الآخر، وبما تملكه هذه الأنا من مقدرة أدبية وبلاغية بالغة الدّقة عمدت إلى استعمال التهريب النسقي مستعملة الاقتباس القرآني معضدة فكرتها وتأكيداً للمعاني المدحية من ذلك اشارتها إلى قوله تعالى (لما استرق ..)[41]، والملاحظ من كثرة استعمال الأنا لألفاظ الإطراء والثناء على

الآخر واسباغها للمعاني كلها فإن ظاهر هذا التزلف والتقرب هو للثناء وليس للتهنئة ، وإنّ كان الظاهر هو التهنئة، كما إن الأنا عملت على تهميش الآخر/ الجماعة (هم) واجحفت أثرهم في احراز النصر وقصرته على الآخر/ الفرد السلطة.

وعملت الأنا على توظيف الطبيعة وأنسنتها بنوعيها الصامتة ، والمتحركة والقائها على الآخر كالثوب الذي يكتسي به؛ إنّ النسق الذي أرادت الأنا الإشارة إليه هو التهنئة بالنصر ولكن اسرافها ومبالغتها في استعمال المعاني المدحية والاطراء على الآخر جعل القارئ يظن أن النسق المراد هو الثناء ولولا تصريح الأنا في نهاية هذا المقطع لما فُهم القصد منه فقال: **"فهنيئاً لراعي الأُمّة، وكاشف الغُمّة، بيمن سياستك، وأمن حياطتك وحراستك، وهنيئاً للأولياء عامّة"**؛ فهذه العبارات استطاعت الأنا أن تُشيلا إلى نسق التهنئة للآخر بالنصر المحرز؛ وتستعمل الأنا نسق التزلف والتقرب للآخر والاعتراف بفضله عليه قائلاً:**" ولي بك خاصّة ، ما اتقلدُه من إمامتك، وأناله بتجديد كرامتك، من مَبَرّةٍ طائلة، ومسَرّة في كل عضو جائلة؛ متّعني الله فيك بنعمه ، وجعلك من كلاءته وذِمِمه، ولا زلت في وثيقة عِصَمة، بمنه وكرمه.."** ؛ فهذا الاعتراف الصريح من الأنا بفضل الآخر، وفيه تزلف وتقرب للآخر للحصول على العطاء والكرم.

وله رسالة أخرى بهذا الموضوع يُهنئ بمقدم بعضٍ من الرؤساء[42].

ومن الرسائل الأُخر الواردة في هذا الصدد ما كتبه الوزير أبو عبيد البكري[43]، هنئ فيها المعتمد بالفتح الذي كان في سنة 479هـ، قائلاً فيها:" **أطال الله بقاء سيدي ومولاي الجليل القدر، الجميل الذكر، ذي الأيادي الغرّ، والنِّعم الزهر، وهنأ ما منحه من فتح ونصر، واعتلاء وقهر؛ بطالع السعد يا مولاي أُبتَ، وبسانح اليُمْنِ عدتَ، وبكنف الحزر عدْت، وفي سبيل الظفر سرت، ويقدم البرّ سعيت، وبجنَّةِ العصمة أتيت، وبسهم السداد رميت فأصميت، صَدَرٌ عن أكرم المقاصد، وأشرف المشاهد، وعودٌ بأجلّ ما ناله عائد، وآب به وارد، فتوحٌ أضحكت مبسمَ الدهر، وسفرت عن صفحة البشر، وردّت ماضي العمر، وأكبَتْ واري الكفر، وهزّت أعطاف الأيام طربا، وسقت أقداح السرور نخبا، وثنتْ آمال الشرك كذبا، وطوت أحشاء الطاغية رهباً، فذكرها زاد الراكب، وراحة اللاغب، ومتعة الحاضر ونقلة المسافر:**

**بها تُنْفَضُ الأحلاسُ في كلِ مترلٍ وتُعقدُ أطرافُ الحبالِ وتُطْلَقُ**[44]

**شملت النعمة، وجبرت الأمة، وجلت الغمة، وشفت الملة، وبردت الغلة، وكشفت العلة:**

**كان داء الإشراك سيفك واشت دَتْ شكاة الهوى وكان طبيا**

**فغدا الدين جديداً، والإسلام سعيداً، والزمان حميداً، وعمود الدّين قائماً، وكتاب الله حاكماً، ودعوةُ الإيمان منصورة، وعينُ الملك قريرة، فهنأ الله مولانا هذه المنحَ البهيَّة مطالعها..."** [45].

يظهر في النص منذ بدايته نسق الثناء والاطراء على الآخر فضلاً عن الاستطراد المستعمل في الرسالة فالأنا هنا قد عظمت هذا الآخر/ السلطان واعطته المركزية، وفي المقابل همشت واقصت أثر الآخر/ هم الجماعة وما أدته من أثر في إحراز النصر إلاّ أنّ (الأنا) قوضت هذا وجعلت الآخر/ السلطان هو رمز السلطة الذي لولاه لما تم تحقيق النصر فـ "يزيد من تكريس السلطة وزيادة عنفوانها وقواها، فالتّمجيد والتّعظيم ونظرة التقديس والانصهار بالآخر والذّوبان فيه، يجعل منه رمز خلود، ويصنع منه طاغية في عصره"[46].

إنّ المقام هو مقام تهنئة بالفتح والنصر، إلا أنه يمكن ملاحظة استعمال الأنا لنسق التذلل والخضوع للآخر بوضوح ، إذ جعلت من الآخر مخلصاً للأمة وأحدثت نظرة جديدة وواقعاً جديداً واقعاً للرعية تحيا به حياة جيدة حتى الدّين جديد والإسلام بدا سعيداً ؛ فهذا النصر المحرز قد قوي عمود الدين ، وعلى

الصعيد الأيديولوجي فإنه تغدو المكانة المقدسة التي يتبؤها الآخر الذي مثل رمزاً من رموز السّلطة ، ومن أهم عوامل غياب الجماعة وانصهارها في عالم السلطة المقدسة[47]، وهذا ما يمكن ملاحظته عند الأنا التي تلاشت أمام الآخر في نظراتها التقديسية والتعظيم ، والتفخيم له وكأن خلق من عالم آخر مختلف عن عالم الرّعية[48].

ويبدو أنّ الأنا في هذه الرسالة حاولت أن تُسيس السلطان أو تأليه السياسي[49]؛ فما ورد من اسراف الأنا في استعمال الصفات، والثناء على الآخر جعلت القارئ أمام نص مدحي وليس تهنئة وهذا نسق الغلو والمبالغة، ومما يُلاحظ على النص استعمال الأنا لأسلوب التهريب النسقي من توظيف بيت شعر للأعشى فجاء هذا البيت مناسباً للموقف الذي هو فيه وهو مقام المدح استعمله للثناء وتمجيد الآخر، وأتى بالبيت الثاني محملاً بمعاني المدح ، والتوصيف لعظمة ، وقوة الآخر وبطشه على الأعداء.

**خامساً: نسق الشفاعة، و الاعتذار، والعتاب:**

حفل النثر الأندلسي في حقبة عصر الطوائف والمرابطين بجملة من الرسائل في موضوع الشفاعة، والاعتذار، والعتاب؛ والملاحظ أنها ترد في أديب مسَّه ضر فيرجى له من الأمير المعونة، والرعاية والتأييد ومنه ما ورد بقلم الكاتب ابي القاسم بن الجد قائلاً فيه:" اما وكنف برك لمن امك من أهل الفضل ممهد وجفن رعايتك لهم مسهد ومنزل حمايتك..."[50].

جاءت الرسالة حاملة لنسق الشفاعة ؛ ثم ظهر فيها نسق الثناء والمدح الذي اسهب فيه الكاتب فوصل به إلى حد الغلو والمبالغة في المديح،

وقد تكون رسائل الشفاعة بين الأمراء في أديب من الأدباء ؛ نحو ما ورد من رسالة ابي عبد الرحمن بن طاهر إلى ناصر الدولة صاحب ميورقة إذ يقول فيها:" **أطال الله بقاء الامير الاجل ناصر الدولة علمه ان الذي بشته الدنيا ـ اعزك الله ـ من مناقبك العليا فتجللت منه اقاصيها وتكللت به نواحيها لجاذب اليك أحرارها وجالب الى ظلك أعيانها وأخبارها بقلوب تملكها هواها وحركها نهاها وهذا الوزير الاجل الكاتب ابو جعفر بن النبي ' عبدك الآمل ابقاه الله صممت به الى ذراك همم . طوال كأنها للرماح عوال يحملها السفين والعزم النافذ المكين وريح جد ما تلين الى حلي من البيان يتقلدها يكاد السحر يحسدها وخلائق محمودة كأنها الخلوق تنفح مسكا وتشوق ...**"[51].

ومن ذلك ايضاً نص كتبه ابو بكر بن القصيرة على لسان المعتمد إلى صاحب المرية ؛ يقول فيه:" **انني ـ أيدك الله ـ على ما بيننا من لجج خضرْ وفيافٍ غُبرٍ لمستكثرْ إخائِك، مستظهرٌ بوفائك، متوفّرٌ على اجمال ذكرك وثنائك، قيامًا بما يتعينُ من مجدك وسنائك، ويعلم الله أنه ما أملي الأبعد، وعملي الأحمد، إلا أن يومَّ أفقك الطلق ــ صان الله بهاءَهُ[52]ــ وحسّنَ أرجاءَهُ، من الخواص النبلاء، والأعيان الفضلاء، من يبلّغك كتابي، وينوبُ في إنهاء طاعتي إليك منابي.**

**وكان فلان قد ألمّ بي زائراً، وتلوّم لديَّ مجاوراً، فأقبلتُهُ وجه البشر، والحفته جناحَ البرَّ بخلالٍ رائعة، وخصالٍ بارعة، لنفائس المحاسن جامعه، منها ــ وهي أحظى وسائله لديّ، وأدنى فضائله الي ــ أدماتُهُ نَشرَ نَشرِ معاليك واعلانُهُ بثَ أياديك... "**[53].

جاءت هذه الرسالة على لسان المعتمد باستعمال البراعة، و القدرة الإبداعية ، والدّقة في اختيار الألفاظ المناسبة للمقام الذي هو فيه وهو مقام (الشفاعة)؛ فعملت الأنا على اظهار معاني الثّناء ، والوفاء للآخر واثبات مركزيته ؛ وفضلاً عن استعمال نسق الثناء، فقد استعملت الأنا/ المعتمد نسق التزلف والتقرب بالإشادة بالمكانة السّامية ، والمجد الرّفيع الذي يتمتع به الآخر/ صاحب المهدية وعن طريق استعمال الأنا/ المعتمد عبارات الثناء والتزلف للآخر فإنها تثبت الطاعة للآخر والرّجوع إليه وتقديم الولاء له ؛ وهو يمثل نسق الخضوع الأنا/ (هو) المشفوع له على لسان الأنا/ المعتمد للآخر ويمكن ملاحظة أنّ المشفوع له هو أديب وذلك يتضح عن طريق ذكر الأنا/ المعتمد في نسق الشفاعة ولكن من دون ذكر اسم

المشفوع له ؛ ولكن عن طريق النص يمكن ملاحظة أن هذا المشفوع له هو أديب وذلك بذكر بعضاً من خصائص أسلوبه وأقواله[54]؛ ويستعمل الكاتب نسق الاستعطاف لهذا الأديب.

وإنّ هذا اللون من الشفاعة ومما يتضح من النص يجعل الأنا/ المشفوع له على لسان المعتمد خاضع للآخر ومنقاداً له ؛ إذ لابدّ من بيان الطاعة ، والولاء للآخر، لأنّ هذا الآخر هو القادر على منح الشفاعة وهذا يُجسد نسق التبعية ؛ إذ لابدّ للمشفوع له أنّ يكون خاضعاً إلى الآخر/ صاحب الشفاعة.

وأما أسلوب الاعتذار فقد كان يصدر من الكتّاب إلى الأمراء أو غيرهم من أصحاب الشأن والكبراء من ذلك ما ورد من رسالة للكاتب ابي عبدالله بن ابي الخصال ؛ يعتذر عن دعوة وُجهت إليه قائلاً :" **يا عمادي الأعلى ، وكبيري الموقرّ المفدّى، ومنيري الأشرق الأهدى، الذي ينم على ضميره ما أبدى، ويُحيي ما دّرس من آثار المُروءة والندى، ويدعو إلى مأدُبةٍ حين أنتفر الناسُ الجفلى؛ لا زلت نارُك توقد باليَفاع، وتستنفذ السارين من أيدي الضلال والضّياع، وتهيبُ بالخرقاء والصّناع، وتأحذُ بالأبصار والأسماع ... وإني ـ علم الله ـ لسريع إلى ناديك، سميع لمناديك، غير أن منزلي كما علمت ـ أو أعلمت ـ عورة، ولهذه الأيام، ـ ألا أنها الله ـ شدةٌ وسورة فعذري بادٍ، وناديك لي نادٍ، وبرّك رائح وغادٍ**"[55].

وجهت الأنا/ الكاتب النص معتذرة إلى الكبراء ،والوجهاء عن الدعوة التي وجهت إليها؛ فاستعملت نسق الثناء عليهم ، والتزلف ووصف المرسل إليه بالكرم، والإحسان وهذا نسق التودد والاستعطاف لتتجنب غضب ونقمة الآخر/ أصحاب السلطة؛ واستعملت موروثها المعرفي لتعضيد الفكرة من وصف الآخر بالكرم والنبل وحسن الضيافة ـ بذكر بيت للشاعر طرفة بن العبد القائل:

**نحن في المشتاةِ ندعوا الجَفلى لا ترى الآداب فينا ينتقرْ**[56]

فأشارت الأنا إلى هذا الأمر مستعملة أسلوب التذلل والخضوع للآخر خوفاً من نقمته عليه ومستعملة نسق الاعتذار بسوق الحجج والأسباب التي منعت من حضوره لمجلس السلطان والكبراء.

ومن رسائل الاعتذار الأُخر ما كتبه أبو عمر الباجي إلى ابن هود معتذراً إليه قال فيها:" **كتب مملوكُهُ المتلحفُ في نعمائه، والمتقلّب في آلائه، من فُلانَة، وما قطعَ مرحلةً، ولا احتل منزلة، إلا ودأبُهُ وَصَفُ معاليه، ونَشرُ أياديه، وأمّا مفارقةُ ذَراه فيكاد الإشفاق يُصْمي الجنانَ، ويُدمي الأجفانَ، وينفي بالجملة السلوانَ، وهو أمرٌ حُمَّ واقتَرَبَ، وقضاءٌ سبق غلبَ، وأنا مع انفصالي عن ذلك الكَنَفِ الجليلِ المأمول، والفِنَاءِ العزيز الموصول، الذي عَمَرْتُهُ في ظلّ الإكرام والتوجيه، ومِهَادِ الإنعام والترفيه، غيرُ خارج من عداد من يتقلب فيه، وجملةِ من يُرَاوِحهُ ويغاديه، لأن فَضْلَه بي حيث كنتُ محيط، وأمَلي به منوط، وتشيّعي له مشهور، واعترافي بعوارفه لديَّ مأثور، وسيعلم مولاي أني صَحِبْتُ فاعتدلت، ثم فارقتُ وما اخْتَلَلْتَ، بل أعظمتُ وأجللتُ، وأثبتُ فاحتفلت، والله الحسيبُ بالنيَّاتِ والأعمالِ، الشهيدُ على الأقوال والأفعال**"[57].

يبدأ النص باستعمال الأنا لنسق الثناء على الآخر/ السلطة والإشادة بها بتعظيمها ووصفها صاحبة الفضل على الأنا/ الكاتب، فجاء غرض النص تقديم الاعتذار والاعتراف بالذنب لكن الأنا حاولت التزلف ، والتقرب من الآخر فاستعملت نسق التودد والاستعطاف ، وتسويغ السبب الذي جعلها تفارق الآخر وتنفصل عنه بأن ظروف دفعتها للإقدام على هذا العمل فتقول:" **وأمّا مفارقةُ ذراه فيكاد الإشفاق يُصمي الجنانَ، ويُدمي الأجفانَ، وينفي بالجملة السلوانَ، وهو أمرٌ حُمّ واقتَرَبَ، وقضاءٌ سبق وغَلَبَ... وأنا مع انفصالي عن ذلك الكَنَفِ الجليل المأمول... والله الحسيبُ بالنيَّاتِ والأعمالِ، الشهيد على الأقوالِ والأفعال**"[58].

فُشير الأنا/ الكاتب إلى تقديم نسق الاعتذار للآخر، وتستعمل عبارات تذلل وألفاظ رقيقة ولينة لتؤكد نسق التذلل والخضوع للآخر وعدم انفصالها عنه ، وتؤكد اثبات الطاعة والولاء له، وتُشير إلى المركزية السياسية للآخر وتقصي شخصيها فهي تابعة للآخر لا سلطة لها.

ومن رسائل الشفاعة الأُخر ما كتبه ذي الوزارتين أبو عبد الرحمن بن طاهر إلى أمير لم يذكر اسمه يشفع له إلى المستعين بالله[59] قائلاً فيها:" **أكرم يدّ ـ أعزك الله ـ يطوّقها المرء جيدَ مجده، ويزَين بها ديوان حمده، ما سدَّ خَلَةً من حسيب، أقعدته يدُ الدهرِ المريب؛ ومُوصلُهُ ـ وصل الله حُرمَتَكَ بالسلامة مِن نكدِ الأيام ــ ابن المستعين بالله ــ رضي الله عنه وأرضاه ــ توسَّلَ بي إلى مكارمك في ترميق حالته، والرمّ لحوالته، لما جفَّت غضارته وعوَّضَ نكد العيش من رغد النعمة، وَحُوّلَ إلى الضيق بعد السعة، وإلى التجوّل من الدعة، ومثلك ــ ولا مثيلَ لك ــ رقَّ لما به شرفه ونصابه، واغتنم الصنيعةَ، وحقّق ضماني عنده زما يرتجيه، فإنك ستجري بما تسديه، أجمل الذكر، وأحفل الشكر، مع الأجر المغبوط، والذُخرِ، المحوط، والله لا يُعدِمُكَ ارتهانَ المننِ وارتباط الأحرار، ويحرسكَ من حوادثِ الليلِ والنهار**"[60].

بدأت الأنا بخطاب الآخر مستهلةً خطابها بنسق الثناء والاطراء على الآخر؛ ثم ببعد ذلك شرعت ببيان حال المشفوع له ليتضح للقارئ نسق الشفاعة بوضوح، وإنّ المتمعن في النص يُلاحظ طريقة الأنا في استعمال نسق التوسل والاستعطاف لتحظى بمنزلة القرين من الآخر بقصد الحصول على المكارم، والعطايا وهذا يُجسد نسق الاستجداء والتكسب، بعدما تغيرت حال المشفوع له إذ إنه كان صاحب نعمة وينعم بما رغد الله عليه من المكارم، والنعم، ولكن هذا حال الأيام لا تبقَ ثابتة فقد زالت تلك النعم وتحولت السعة إلى ضيق وهذا ما حمل الأنا لتعبير عن ضيق حال المشفوع له بنسق التحسر على الماضي، وعملت الأنا لذلك بثبات مركزية الآخر/ السلطة والإشادة به باستعمال أسلوب المخاطبة بالكاف التي تلحقها جملة اعتراضية بـ(ومثلك، لا مثيل لك)؛ وتستعمل الأنا أسلوب التذلل والخضوع للآخر واستعمال نسق التوسل بقبول شفاعة الأنا للمشفوع له.

وهذا التوسل بالآخر/ السلطة واستعمال أسلوب التوسل بهذه الطريقة يدلُ على عمق العلاقة بين الأنا والآخر/ السلطة إذ انهما من أصحاب السلطة والمشفوع له أيضاً وتستعمل الأنا نسق الوعظ والإرشاد وذلك عن طريق العبارات والألفاظ المناسبة للمقام ؛ وتُذكر الآخر بأن الأيام لا تبقَ على حالها ؛ وإنّ الخطاب فيه دعوة إلى كسب واحتضان الآخر/ الرّعية والرفق بهم لأن ابداء الرحمة ، والتسامح معهم عملٌ يُثاب عليه الآخر/ السلطة وقد يكون له ذخراً محفوظاً عند الله يشفع له من حوادث الليل والنهار كما هي الحال مع ابن المستعين بالله.

ومما تقدم يمكن ملاحظة مدى براعة الكاتب في تصوير الحال واستعمال الأنساق المناسبة للتعبير عن الغرض الذي أراد إيصاله فجمع بين نسق الثناء والاطراء على الآخر، ونسق التوسل، ونسق الشفاعة، ونسق الوعظ والارشاد ليصل بنتيجة إلى الشفاعة للآخر المظلوم.

وأما العتاب؛ فمن النصوص التي وردت في هذا الموضوع ما كتبه ابن قزمان[61]؛ مُعاتباً فيه الوزير؛ يقول:" **.. ونترك ما استمر إلى هلم جرا ، وطول به دهراً؛ فربما تلاقينا، وكأنا ما تراءينا، لا كلام ببنت شفة، ولا إيماء بطرف أنُملة، واللوم في هذا كله يسقط عني، كما يضيق العذر عنك... على أنّي أتكبر على المتكبرين، ولا ألين لمن لا يبتغي لين**[62] **...ولولا أن يدال القربُ بالبعاد ، دون أن يقع عتبٌ ويشرع وداد، ويكشفَ يوماً على هذا التهاجر الغريب، والتنافر العجيب، ولا يعرف من الظالم منّا من المظلوم، ولا من المحكوم عليه من المحكوم له، لأضربت عنها صفحاً ، وطويت دونها كشحاً ولسددت عليها أذني...**"[63].

بدأت الأنا / ابن قزمان باستعمالها لنسق العتاب للآخر/ الوزير وأشارت إلى سياسته في التعامل مع الآخر/ الجماعة (هم) مؤكدة على نسق التواضع وعدم الكبر مع الآخر/ الجماعة لتقدم نسق النصح والارشاد الوعظي مخاطبة الآخر/ الوزير في رسم سياسته مع الآخر/ الجماعة بعدم اللين مع من تجاوز الحدّ في سوء أفعاله، فعملت الأنا على اعطاء الآخر النصيحة في رسم صورة واضحة ومتكاملة لمنهجية صحيحة في التعامل مع الآخر/ الجماعة وعدم السماح له في تجاوز الحدّ فبدت ثقافة الأنا واضحة عن طريق توظيف العبارات المناسبة وتوظيف البيت الشعري بما يتلاءم مع مقام الحال واوردت الأنساق بصورة منسجمة مع بعضها البعض وبهذا نجحت الأنا من تدبيج هذا النص بصورة مناسبة.

ومن رسائل العتاب الأُخر ما ورد على لسان ابن قزمان معاتباً بعضاً من الوزراء قال فيها:**"ما أكثر الأشياء الجامعة لنا: أدبٌ كروض الحَزْن، وودّ مَصَوْبِ المزن، وأوليَّةٌ كَرُم تاريخها واتصلتْ أسانيدها، لا يُنْكَرُ فضلها ولا تُذَمُّ عهودها، وأسلافٌ سَلَفَتْ بينهم صحبةٌ حميدو، وأذِمَّةٌ وكيدة، مِثلها نَهَجَ إخاء، وأورثَ صَفاء، ونظم أهواء وآراء. وما زلتُ على تراخي المزار، وتنازح الأقطار، أودُّكَ كلَّ الوداد، وأعتقدك أصحَّ الاعتقاد، وألحظُكَ بعين الإعظام، واقتراحُ لقاءَك على الأيام، معرفةٌ بسبقك، وتوفيةٌ لحقك، وَتَوْقاً إلى مطالعةِ تلك الطباع الرقيقة، ومباشرةِ تلك الآداب الأنيقة، إلى أنْ وَقَعَ ما وقع، وأتيحَ من التداني ما لم يُتوقع، وهي الأقدارُ، وليس عليها الخيار. وكنت أُعلمت بسؤالك ـ بفضلك ـ عنّي، ونزاعك نحوي،وغرضك إلى لقائي، واعتذارك بخفاء مكان نزولي، وغموض موضع حلولي... وأما الازدراء، والانتخاء، والتقذّر والتعذّر، مع علمك بالحال وأوّلها، وتمكنها وتأثّلها، وبحال الأيام وتقلبّها، وتعاوُرِ أقطارها وتناوبها، ومع ذكرك قولهم :" ليست العزّة في حُسْنِ البزّة" وقول من قال:" ليست العباءةُ تكلمكَ إنما يكلمك من فيها"، وقول بعضهم:** [64]

**ليس الجمالُ بمئزرٍ فاعلم وإنّ رُدّيتَ برداً**
**إنّ الجمال مآثرٌ ومناقبٌ أورثنَ حمداً"** [65]

إنّ المطلع على النص يُلاحظ عمق العلاقة بين الأنا/الوزير ابن قزمان والآخر/ الجماعة (هم) الأدباء وأصحاب السلطة لذا عمدت الأنا/ الكاتب إلى استعمال نسق العتاب وتذكير الآخر بالروابط ، والأواصر التي كانت بينهما، وأشارت الأنا إلى نسق الإخاء والمودة لتؤكد على حفظها لمواثيق الصداقة والمودة التي كانت تجمعها مع الآخر لُأشير إلى نسق حفظ العهد، وفي المقابل فإنّ الآخر قد قابل هذه الأنا بنسق القطيعة والجفاء في التواصل؛ إلا إنّ الأنا لم تُقابل هذا الجفاء إلاّ بالودّ والتشوق لملاقاة الآخر وهي تُشير إلى نسق الحنين إلى الماضي وتستعرض أيام الصحبة ، والإخوة وكيف تجسدت معانيها لديها إلا أن الآخر قابل هذا بالنكران واشاحت وجهه عن الماضي وتلك الذكريات ، وقطع التواصل بفعل الأقدار؛ وإنّ تهميش الآخر/ جماعة الوزراء وأصحاب السلطة للأنا بهذه الطريقة هو ما حمل الأنا لاستعمال نسق العتاب؛ وقد استعملت الأنا موروثها المعرفي بإيراد هذين البيتين من الشعر فهما بمثابة زيادة في إيضاح رأيها في أن المظهر لا يُغني عن المخبر، كما أن الكاتب قد استرفد بعضاً من الأقوال المشهورة كـ(ليس العزّة في حسن البزّة) و(ليست العباءة تكلمك إنما يكلمك من فيها) فما كان مجيء هذين البيتين هنا إلا ليؤكد على القضية التي هي مدار النص، فعملية التوظيف المعرفي من قبل الأنا/ الكاتب جاءت لإقناع الآخر/ الجماعة بعدم النظر إلى المظاهر الخداعة ، وقياس الناس عليها لذا جاءت الأبيات مناسبة مع فكرة النص.

## الخاتمة:

بعد أن تم البحث بحمد الله تم التوصل غلى النتائج الآتية:

1- إنّ الرسائل السلطانية ذات أهمية قد كسبت أهميتها بوصفها حال الدولة ويعتمد عليها ترتيبها وتسيير شؤونها.

2- تضمنت رسائل التولية أنساقاً متعددة منها النصح والارشاد الوعظي مما جعل الأنا والآخر في حالة من الانسجام بينهما في تعزيز دور المشورة في الأمور التي تقوي موقع الآخر.

3- استعملت النا في معظم الرسائل نسق الثناء والمدح الموجه غلى الآخر واشارة الأنا باظهار الولاء والطاعة للآخر السلطان.
4- حفلت الرسائل في مضمون التبشير بالفتوحات نسق الفخر باحراز النصر وكانت تحفل هذه الرسائل نسق التودد والتقرب من الآخر والاشادة بقوة وعظمة الآخر السلطان.
5- كان من ضمن الرسائل السلطانية رسائل جاءت تحمل مضمون الشفاعة والاعتذار فكان الرسائل الشفاعية حاملة لنسق الثناء والمدح والتعظيم من شخصية الآخر بغرض الحصول على عطفه والتقرب منه.

**هوامش البحث**

---

(2) ظ: الخصائص الفنية لأدب الرسائل عند لسان الدين بن الخطيب:28.
(3) ظ: أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري:273.
(4) الخول: وهم العبيد والإماء وما سواهم من الحاشية: ظ: لسان العرب: مادة خول.
(5) الاحاطة في اخبار غرناطة: 433/1.
(6) خريدة القصر:370/3.
(7) ظ: فن الرسالة عند ابي عبدالله بن ابي الخصال(دراسة فنية وأسلوبية):30.
(8) آل عمران: 159.
(9) البيان المغرب: 73/3.
(10) قلائد العقيان:46-47.
(11) ظ: ابو الوليد الحضرمي: وهو ابو وليد بن الحضرمي : أحد ولاة المتوكل ووزرائه وقد عزله عن ولايته وهذا واضح من رسالته المذكورة لاساءته التصرف
(12) قلائد العقيان:42-43.
(13) ظ: النثر الفني في عصر الطوائف والمرابطين: 214.
(14) ظ: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: 2/ 29- 33.
(15) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: 310/1.
(16) البقرة: 255.
(17) النثر الفني في عصر الطوائف والمرابطين:215.
(18) الربق: هو عقد أو قيد، وأمّا الختر: هو الغدر والخديعة،ظ: لسان العرب:157-1099، مادة ربق، وختر.
(19) الذخيرة: 383/1.
(20) المصدر نفسه: 384/1.
(21) المصدر نفسه:384/1.
(22) ظ: جماليات التحليل الثقافي الشعر الجاهلي نموذجاً:64.
(23) ظ: النثر الأدبي الأندلسي في القرن الخامس "مضامينه وأشكاله": 256.
(24)ظ: ملحق الاعلام.
(25) الذخيرة :149/2.
(26) الذخيرة :5/4-6.
(27) المصدر نفسه: قلائد العقيان:277-178، خريدة القصير:365/3–366.
(28) ظ: النثر الفني في عصر الطوائف والمرابطين:230.
(29) ظ: يحيى بن غانية : احد امراء المرابطين من قبل علي بن يوسف بن تاشفين ، وصفه عبد الواحد المراكشي بانه حسنة من المناقب ما افترق في كثير من الناس . ويصفه بالصلاح وشدة الخوف من الله ، وسعة الفهم في الفقه والحديث والشجاعة في الحرب وتم على يديه كثير من الاصلاح في الاندلس،ظ: المعجب المراكشي :٢٧٢ . ص٣٥١–٣٥٢ وص397 وص406.
(30) المغرب في حلى المغرب: 382/2.

(31) قلائد العقيان: 189.
(32) الذخيرة :360/1.
(33) ظ: النثر الفني في عصر الطوائف والمرابطين:234.
(34) ظ: بلنسية: وهي من المدن الأندلسية المشهورة تقع في شرق قرطبة وهي مدينة برية بحرية ذات اشجار وانهار ؛ وتُعرف أيضاً باسم مدينة التراب،ظ: معجم البلدان:4090/1.
(35) الذخيرة:102/1.
(36) آل عمران: 26.
(37) المصاد : هو أعلى الجبل ظ: لسان العرب مادة (مصد) :
(38) القتاد: وهو شجرٌ صلبٌ وشائك، وأما الغمار: فهو جمع الغمر: أي الماء الكثير، والكرم السخي، ظ: لسان العرب: 3525- 3293، مادة (قتد) ، (غمر).
(39) العلل: يقصد بها الشربة الثانية،ظ: لسان العرب :3078، مادة (علل).
(40) رسائل ابن ابي الخصال:62-63.
(41) الجن:8.
(42) ظ: رسائل ابن ابي الخصال:80.
(43) ظ: أبو عبيد البكري: وهو عبدالله بن عبد العزيز البكري (ت487هـ) صاحب المؤلفات العربية الذائعة الصيت كـ(شرح الأمالي ، وفصل المقال) ومن الكتب الجغرافية كـ(المسالك والممالك ، ومعجم ما استعجم)ظ: الذخيرة:183/3.
(44) ديوان الأعشى:129.
(45) الذخيرة:145/2-146.
(46) الرسائل النثرية الأندلسية في عصري الطوائف والمرابطين دراسة في المضامين الموضوعية:34.
(47) ظ: خطاب السلطة والخطاب المضاد:184.
(48) ظ: الرسائل النثرية الأندلسية في عصري الطوائف والمرابطين دراسة في المضامين الموضوعية:34.
(49) ظ: الإنسان المؤله: ويقصد به أن يمنح الإنسان صفات الإله، أو اتصاف الآلهة ، وبعضاً من صفات الأبطال الخارقين من البشر عبر التاريخ وذلك بقصد احاطتهم بهالة من العظمة ، والقدسية إلى درجة تجعلها غالباً تدخل في الخيال الاسطوري،ظ: مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي:60.
(50) قلائد العقيان:115.
(51) قلائد العقيان: 61.
(52) هكذا وردت في النص والأصح بهائه.
(53) الذخيرة : 172/2-173.
(54) ظ: النثر الفني في عصر الطوائف والمرابطين:240.
(55) رسائل ابي عبدالله بن ابي الخصال:98–100.
(56) ديوان طرفة بن العبد: 65.
(57) الذخيرة: 118/1..
(58) الذخيرة:151/3.
(59) ظ: المستعين بالله: هو احمد بن هود صاحب سرقسطة، حارب النصارى الشمال حتى استشهد في سنة (503هـ)، ظ: قلائد العقيان:548.
(60) الذخيرة:50/3.
(61) ظ: ابن قزمان: وهو ابو بكر محمد بن عبدالملك بن عيسى بن قزمان (ت508هـ) من أهل البلاغة والبيان عم الزجال ابن قزمان، ظ:قلائد العقيان:555/2.
(62) اشار الكاتب هنا إلى بيت ذو الاصبع العدواني:
لا يخرج الكره مني غير مأبية ولا ألين لمن لا يبتغي ليني (المفضليات: 161)
(63) الذخيرة: 2/ 361.
(64) ظ: الأبيات هي لعمرو بن معد يكرب، الديوان:67.
65 الذخيرة:459/2-460.

## المصادر والمراجع:

**القرآن الكريم**

1. الاحاطة في أخبار غرناطة : لسان الدين بن الخطيب(ت776هـ)، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ.
2. أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري: فايز عبد النبي القيسي، دار البشير، للنشر والتوزيع، ط1، عمان ـ الأردن،1989م.
3. البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ابن عذارى المراكشي، تحقيق ومراجعة : ج.س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، بيروت، دار الثقافة، ط2-1980م.
4. جماليات التحليل الثقافي ، الشعر الجاهلي نموذجاً، د. يوسف عليمات ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، د.ط، بيروت ـ لبنان، 2004م.
5. خريدة القصر وجريدة العصر: العماد الاصفهاني، تق: آذرتاش آذرنوش، نقحه: محمد علي العروسي المطوي، والجيلاني بن الحاج يحيى، ومحمد المرزوقي، الدار التونسية للنشر، ط2، 1986م.
6. الخصائص الفنية لأدب الرسائل عند لسان الدين بن الخطيب، رسالة ماجستير، اسماء مزعاش ـ سارة بارش، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد الصديق بن يحي ، 2021م.
7. خطاب السلطة والخطاب المضادّ: د. عبدالواسع الحميري، مؤسسة الانتشار العربي، د.ط، بيروت ـ لبنان، 2014م.
8. ديوان الأعشى: شرح عبدالرحمن مصطاوي، دار المعرفة، ط1، بيروت، 2005م.
9. ديوان طرفة بن العبد: شرح الأعلم الشنتمري، تحق: درية الخطيب، لطفي الصقال، مجمع اللغة العربية، د.ط، دمشق، 1975م.
10. ديوان عمر بن معد يكرب: تحق:هشام الطعان، وزارة الثقافة والاعلام، العراق، د.ط، د.ت.
11. الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: ابو الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت542هـ)، تحق: هلال ناجي، دار الرسالة للطباعة، بغداد، 1976م.
12. رسائل ابن ابي الخصال: الكاتب الفقيه أبي عبدالله بن أبي الخصال الغافقي الأندلسي، تحق: د. محمد رضوان الدّاية، دار الفكر، د.ط، دمشق ـ سوريا، 1988م.
13. الرسائل النثرية الأندلسية في عصري الطوائف والمرابطين دراسة في المضامين الموضوعية ،اطروحة دكتوراة ، اسامة عبد العباس عبد اليمّة حمود، اشراف: أ.م.د شيماء هاتو فعل البهادلي، كلية التربية للعلوم الإنسانية ـ جامعة البصرة، 2020م.
14. فن الرسالة عند أبي عبدالله بن أبي الخصال دراسة فنية أسلوبية: محمد لخضر بن ناجي، اشراف: احمد بن لخضر فورار، رسالة ماجستير ـ جامعة محمد خيضر ـ بسكرة، كلية الآداب واللغات، 2014م.
15. قلائد العقيان ومحاسن الأعيان: لأبي نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي الإشبيلي الشهير بابن خاقان (ت529هـ)، تحق: د. حسين يوسف خريوش، مكتبة المنار للطباعة والنشر، الأردن، 1989م.
16. لسان العرب: جمال الدين بن منظور، دار صادر ، بيروت ، ط1، 1992م.
17. مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي: مالك بن نبي، تر: د. بسام بركة، ود احمد شعبو، دار الفكر ، ط1، بيروت، 1988م.
18. معجم البلدان: ياقوت الحموي(ت626هـ)، دار صادر ـ د.ط، بيروت ـ لبنان، 1955م.
19. المغرب في حلى المغرب: ابن سعيد (ت685هـ)، تحق: شوقي ضيف، دار المعارف، ط4، د.ت.
20. النثر الأدبي الأندلسي في القرن الخامس مضامينه وأشكاله: علي بن محمد ، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت ـ لبنان، 1990م.
21. النثر الفني عند لسان الدين بن الخطيب: عبد الحليم حسين الهروط، دار جرير للنشر والتوزيع، ط1، عمان ـ الأردن،2013م.
22. النثر الفني في عصر الطوائف والمرابطين: د. حازم عبدالله خضر، دار الحرية للطباعة، د.ط، بغداد، 1981م.